مِفتاح سِرّ الحياة

مجموعة قصصية

مريم توركان

الإهداء

إلى أستاذي الفاضل _والفضل للَّه_ عادل إدريس المَسلمي.. طِبتم وبُوركتم وحُفِظتُم أينما حللتم، وجُزيتم عنّي الخيرَ كُلّهُ أستاذي.

مريم توركان

الفهرس:

1_نبض الفراولة

2_نورشان

3_السائرُ على خُطى الشَّيطان

4_دُميةُ زوجي

5_هُناكَ تختفي الأشياء

6_مِفتاح سِرّ الحياة

7_لا تعتذر فقد جَفَّ البئر

8_في بيتنا صوفي

9_بعض الحَمقى لا يَموتون

1_(نبض الفراولة)

أخذَ عطفٌ يختارُ اسمًا لمولودتهِ التي وُضِعتْ للتو، اِحتارَ من كثرةِ الأسماء التي يُحِبُّها، قرَرَ أنْ يُسمّيها اسمًا جامعًا فكانَ (ميم).

مَرِضتْ إيواء بعدَ الوضعِ مُباشرةً فَحُجِزَ بينها وبينَ ميم، لئلا يُصيبَ ابنتها ما أصابها من الحُمّى.

أرادَ عطفٌ أنْ تَبقى ابنتهُ على قيدِ الحياة، فاستأجرَ لها مُرضعاتٍ لكنَّها أبتْ أنْ ترضعَ منهُنَّ، حاولَ أنْ يُرضعها لبن الغنم، لكنَّها لا تستجيب، ابتاعَ لها بعض اللبن الجافّ، ثُمَّ قامَ بخلطهِ ببعضِ الماء الدافئ السابق غليه، لكنَّها لفظتهُ من جوفها حينها حاولَ إرضاعها إيَّاه.

لم تبقى محاولة لإرضاعِ ميم إلَّا وقد فعلها عطفٌ لكنْ بلا جدوى، ماتتْ إيواء بالحُمّى، وبقيَ زوجها وحيدًا يبكيها بُكاء الابن فِراقَ أُمّه، بينما ميم تُصارع الموت بعدَ رفضها الرضاعة.

وارى عطفٌ جسدَ إيواء التُراب، ثُمَّ أخذَ ميم وذهبَ بِها إلى جبلِ الحلول، ذلكَ الجبل الذي اِجتمعتْ بهِ حلول كُلّ المُشكلات، وما أنْ وَصَلَ حتّى تصدّعَ الجبل، ظَنَّهُ زلزال فاختبأ خلفَ ساترٍ من الرِمال، لحظاتٍ وعادَ الجبلُ كما كان، وَقَفَ عطفٌ أمامهُ حاملًا ميم على أكُفَّه، سألَ الجبلُ حلًّا فقد أبتْ الرضاعة ولم يَجدْ لها حلًّا.

تَفَّتَقَ الجبل لتظهرَ كُوّة، اِقتربَ منها عطفٌ ومَدَّ يدهُ لتخرجَ بمطويةٍ قديمة، فتحها على الفورِ وقرأها، فإذ بِها خريطة توضّح لهُ طريقٌ يُؤدي إلى شجرةٍ عتيقة، فَهِمَ مَقصِدَ الخريطة وبدأ في التحرُّكِ مُتتبعًا ما خُطَّ بِها من تعليمات.

مَرَّ وقتٌ يسير وقد وَصَلَ عطفٌ إلى مُبتغاه، فها هو الآن يَقِفُ أمامَ الشجرة العتيقة، أخذَ ينظر إليها ولسانُ حالهِ يقول: كيفَ لشجرةٍ عتيقة أيبسها الزمان بحلِّ مُشكلةِ ابنتي الرضيعة؟

لحظاتٍ وتحرّكتْ الشجرة، شَعَرَ عطفٌ ببعضِ الخوف، لكنْ سُرعان ما ذَهَبَ عنهُ الروع، حينَ رأى لبنًا يخرُجُ من باطنِ جذع الشجرة، حاولَ أنْ يغترفَ غُرفةً بيدهِ لكنَّهُ قد جَفَّ الجذع، ظَنَّ أنَّ الأمرَ قد اِنتهى وسيعود كما جاء، حتّى هَطَلَ اللبن من فرعٍ صغيرٍ ليَخيبَ ظنّه.

قَرَّبَ الفرع من فَمِ ابنتهِ لتلتقمهُ بيُسرٍ ومرونة، أخذتْ ترضع حتّى شَبِعَتْ ونامتْ، فَرِحَ عطف بحلِّ مُشكلة ميم، ثُمَّ نامَ بجوارها تحتَ ظِلِّ الشجرة.

ظَلَّ عطفٌ مُقيمًا عندَ الشجرةِ حتّى بلغتْ ميم عامها الثاني، فقررَ أنْ يعودَ بِها إلى البيت، لكنَّ شيئًا ما قد منعه، إذ أصابهُ النسيان فلم يَعُد يَذكُرُ شيئًا ممّا كان، ليبقى مُقيمًا بمكانه، دونَ الدرايةَ بزمانه.

كَبُرَتْ ميم بينَ الشجرة العتيقة بأفرعها السميكة، والبئر الصغير بعُمقهِ الخطير، وقد اِشتعلَ رأسُ عطفٌ شيبًا، ورأى أنَّ البقاءَ عيبًا، لذا لا بُدَّ من الذهاب إلى البيتِ والأحباب، فقد اِنقضى العُمر وشابَ الأصحاب.

لم يَكُن يعلم أنَّ الشجرةَ مسحورة بسِّحرٍ عتيق، فعلهُ بِها شَّيطانٌ زنديق، وأنَّ ما شربتهُ ميم كانَ ماء، والماء سرّ الحياة، قد أوهمتْ الرضيعة، بحيلةٍ وضيعة، لتَرى الماء لبنًا، والفرعُ ثديًا.

عَلِمَ عطفٌ بالسِرّ، فأخفى وأسَرّ، لكنَّهُ مذعور، من كُوّةِ النور، فقد فُتِحَتْ على يدِ ميم، رُبما هي لُعبةٌ من ساحرٍ أثيم، إذًا ما هي الحلول، فالأمر تعقّدَ بعدَ أنْ كانَ محلول؟!

عَلِمَتْ الشجرة نواياه، فأخبرتهُ بسرِّ إيواء الذي أخفاه، إذ كانتْ لا أُمّ ولا أبَ لها، رضعتْ من ذاتِ فرعها، بعدَ أنْ غَدَرَ بِها الأبوان، حَزِنَتْ على نفسها وأضحتْ معقودة اللسان، بشّرتها الشجرة بأنَّها ستلد فتاةٌ جميلة، مِقدامةٌ نبيلة، ستكون واحدة على مرِّ الزمان، لن يكونَ مِثلها إنسان.

خشيَ عطفٌ بكشفِ السرّ، فتراجعَ عن نيّته، ولم يُخبر ميم بما أسرّ.

مضتْ السنون وقد لاحظَ عطفٌ أنَّ ميم تُحِبُّ الفراولة أكثرَ من أيّ فاكهة، فتأكلها وتعصرها، وأخيرًا تطهوها.. لا يدري كيف؟

أخذَ يرقبها فرأها لا تأكل إلَّا الفراولة، لا تتناول سائر الفاكهة التي تملأ الحديقة المُقابلة لبيتهما الصغير تحتَ الشجرة، بل لا تتناول الحمام والأرانب، كُلّ ما تتناولهُ طِيلةَ يومها فراولة وفراولة وفراولة أيضًا.

اِستيقظتْ ميم باكرًا على صوتٍ يُناديها، الوقتُ قد حان، يا نبضَ الفراولة هيّا لأميرِ الزمان، أخذتْ توضّح أنا ميم ولستُ نبض الفراولة، لكنَّ الصوت مُصّر على أنَّها هي نبضُ الفراولة، اِقتربَ منها وأسَرّ، ثُمَّ مَسَحَ على عيناها، لتَرى نفسها في حُلّةٍ ما أبهاها!

عادتْ لوعيها حينَ تذكّرتْ أباها، ثُمَّ هرعتْ إليه، لتعلمَ ما لديه، فقد كانَ يحكي لها، عن قصّةٍ مُشابهة، أخبرتهُ بما رأتْ، وليتها ما حَكَتْ.. إذ أنَّ أباها لم يَكُن أباها، بل كانَ صقرًا وتحوّلَ بينَ عشيةٍ وضُحاها.

ماتَ أبوها مُنذُ سنين، فتمّثل الصقر بصورةِ الإنسيين، ليُهوّنَ عليها، ويُنّمي لديها، قصّة بطلة الزمان، نبض الفراولة، ومُغامراتها مع أمير الزمان، ما حَدَثَ لها تشيبُ لهُ الولدان، كادَ عقلها يُجنّ، أو قُلْ ويكأنْ.

مضى يومان وقد تفهمّتْ ميم ما حدث، ثُمَّ أخذتْ تقرأ أكثر عن مملكةِ أمير الزمان، تلكَ المملكة السعيدة سابقًا، الحزينة حاليًا، المعزولة عن العالَم بفِعلِ خبيرٍ عالِم.

أخبرتها الشجرة بأصلِ الحكاية، عن طريقِ مطوياتٍ محفوظة، بجذعها محفورة، فَهِمَتْ ميم المطلوب، وتجهّزتْ ثُمَّ ذهبتْ إلى المكانِ المقصود.

وصلتْ بعدَ أيَّام، لا تدري كيفَ تدخل إليهم، فالأبواب كُلّها مُغلقة، جلستْ أمامَ إحدى البوّابات، تتذكّرُ عهدًا فات، أخذَ تذكرُ ما شاءتْ من الذكريات، حتّى إذا ما وصلتْ إلى سببِ تسميتها بميم، تذكّرتْ عهدًا قديم، إذ أنَّ أباها قد سمّاها ميم، لحُبِّهِ لأسماءٍ كثيرة تبدأُ بحرفِ الميم، كَمُحمّدٍ ومحمود، ومُصطفى ومسعود.. وهُنا فُتِحَتْ البوّابة.

دلفتْ ميم وأُغلِقَتْ البوّابة دونها، ليراها شعب المملكة، فإذ بِهم مُكبّرينَ مُهللين، سألتهم إنْ كانوا يعرفونها، أخبروها أنَّها نبض الفراولة، قد عرفوها من وصفِ أميرِ الزمان ملك المملكة، الذي أصابهُ سِحرٌ جعلهُ طريح الفِراش مُنذُ سنين، قد أخبرهم أنَّ حلَّهُ عند نبض الفراولة؛ فتاةٌ حسناء، ذات بشرةٍ بيضاء، وعيونٍ بُنيّة، بلمعةٍ سحرية، وشامة فوقَ شفتها العُلوية، وأُخرى بطابعِ الحُسن، وأرنبةٍ صغيرة هي أنفها، وكثيفةٌ أهدابها، أزّجةُ الحاجبين، مُتوسطةُ القامة، رشيقةُ القوام، صغيرةُ اليدانِ والقدمان، إذا حَلّتْ بمكان سادهُ الأمان، عطوفةٌ حنونة، حيّيةٌ مزيونة، تحوطها هالة من نور.

سارتْ ميم بينهم وتعرّفتْ على بيوتهم، وأُعجبتْ بشوارعهم النظيفة التي تفوحُ منها رائحة الفراولة، ثُمَّ جلستْ لتتناولَ مع بعض النساء طعام الغداء، فكانتْ المُفاجأة؛ أطباقٌ مُتنوعة من الفراولة، أخذتْ تنظر إلى الطعام، وتذكّرتْ حينَ كانتْ لا تتناول سوى الفراولة وحُبّها لها، عَلِمَتْ أنَّها كانتْ تُجهَّز دونَ عِلمها، إذ أنَّ هذهِ المملكة لا تعرفُ

شيئًا عن الطعامِ إلَّا الفراولة، فعليها يعيشون، وبِها يقتاتون، وعن غيرها لا يعلمون.

بعدَ أيَّامٍ من إقامتها، أخذوها لمخدعِ ملك المملكة، دلفتْ فألقتْ عليهِ السلام، وهو نائمٌ لا يدري عن الأيَّام، ثُمَّ تركوها معه، اِقتربتْ منه، فرأتهُ وسيمًا جميلًا، ذو شعرٍ كثيف إلى نصفِ الآذان، أحمرٌ قوّيُ البنية، اِقتربتْ منهُ أكثر ثُمَّ أخذتْ تهمسُ في أُذنهِ ببعضِ آي القرآن، التي حفّظها إيَّاها أباها في صِغرها.

تعمّقتْ في النظرِ إليه، فرأتْ شامة في رقبته، كَتلك التي بِها، ثُمَّ رأتْ شامة أُخرى بظهرِ يدهِ كالتي تمتلكها، وضعتْ يدها على جبينهِ فتعرّق، أخذتْ تبكي دونَ توقف، تساقطتْ عَبراتها على يدِ أمير الزمان، فعادَ وعيه، وفتحَ عينه، وتبسمَ لها.

زُيّنَتْ المملكة بزيناتٍ زاهية، جميلة وباهية، وفاحتْ رائحة الفراولة الزكية، كما مُدَّتْ الموائد، وازدانتْ بالحلوياتِ والعصائر المصنوعة من الفراولة، خَرَجَ أمير الزمان، ليُعلنَ تعافيه، ويزّف لهم البُشرى بزواجهِ من نبضِ الفراولة ابنةَ عطفٍ وعمّتهِ الأميرة إيواء؛ التي تركها أباها عندَ جبلِ الحلول وهي رضيعة، حينَ بلّغهُ أحد المُنّجمينَ أنَّها سوف تتزوّج من غيرِ قرابتها، لتُلحقَ العار بعائلتها المَلكية، وأخبرَ أُمّها الأميرة حسناء أنَّها ماتتْ.

ثُمَّ أَمَرَ أحد العُلماء بِاختراعِ شيءٍ يُخفي المملكة عن العالَم، فكانَ ما أراد، لكنَّ الأثر السلبي هو ما أصاب محصول الفراولة المزروع آنذاك، فجعلهُ طعام المملكة الأوحد بعد قتلِ سائر النباتات والحيوانات.

عادتْ نبض الفراولة (ميم) لبيتِ جدّها لأُمّها الملك خير الزمان، وتزوجتْ من ابن خالها أمير الزمان، فأنجبها عطفٌ وإيواء، وخير الزمان وحسناء.

2_(نورشان)

عاشتْ حياة حياةً سعيدة ببيتِ أبيها، حتّى تقدّمَ لها أشرف رغبَة في الزواجِ منها، ورغم أنَّها رفضتْ قبلهُ الكثيرينَ إلَّا أنَّها وافقتْ عليهِ.

تعجبَ أبيها وإخوتها من موافقتها، لكنَّ أُمّها كانتْ راضية؛ إذ أنَّ أشرفَ يقرُبها من درجةٍ بعيدة، لكنَّهُ يقرُبها!

أخبرها أخيها الذي يكبرها بعدمِ رغبتهِ في مُصاهرةِ شخصيةٍ كَأشرف، مُتواكل، غير مُجتهد، لا يتوافق معهم فِكريًا واجتماعيًا؛ فهم أغنى وأفضل منهم، لكنَّها أصّرتْ دونَ حتّى أنْ تعرفَ ماهية دافع إصرارها، ولأجلها نزلتْ أخيها عن رغبتهِ وباركَ زواجها على مَضضٍ.

مَرّتْ الأيَّام وحملتْ حياة بطفلتها الأُولى، أسمتها باسمٍ أعجميٍ أعجبها حينَ سمعتهُ من إحداهُنَّ، سألتها عن معناه، فأجابتها بأنَّ معناهُ هو إشراق الهداية.

ظَلّتْ تُكافحُ مع زوجها المُتواكل حتّى أنجبتْ طفليها الآخرَين، أحمد ومحمود، لتُصبحَ عائلتها الصغيرة مكوّنة من خمسةِ أفراد، هي وأشرف، ونورشان وعمرو ومُصطفى.

رضيتْ بشظفِ العَيشِ مع أشرف، وضِيقِ الحال الذي أوهنَ أجساد براعمها الصِغار.

فتحتْ معهُ أمر السفر خارج البلاد؛ كي يأتي لهم بما يقتاتونَ به، فأبناء إخوتهِ يعملونَ هُناكَ وقد أضحوا من الأغنياء، كما أنَّ إخوتها طِيلة حياتهم يعملونَ هُناكَ لذا لا يحتاجونَ إلى أحد.

رفضَ السفر وأرادَ أنْ يُنجبها أطفال آخرين لكنَّها أبتْ؛ فكيفَ تحملُ بعد أنْ أنجبتْ ثلاثة براعم لا تَقوى على تأسيسهم حتّى بدنيًا، فهُم يأكلون وجبة واحدة طِيلة اليوم، ورُّبما لم يجدوها فذهبوا لبيتِ جدّهم لأُمّهم كي يقتاتوا، بينما هو يأكل ما يحلو لهُ عندَ إخوتهِ ثُمَّ يأتي ليُفرِغَ طاقتهُ بجسدِها وينام، وهكذا يَفنى العُمر.

كانتْ تستعير من جاراتها بعض الأعشاب، لتقومَ بغليها ومن ثَمَّ تضع بها بعض كُسر الخُبز، لتُقدّمها لبراعمها كَوجبةٍ تَسُدّ بِها رَمقهم.

مَرّتْ ثماني سنوات على زواجها، فأضحتْ نورشان ذاتْ ستةِ أعوام، بينما عمرو أربعة أعوام، وأخيرًا مُصطفى عامين، وهُنا بدأتْ تظهر في البيتِ أشياء غريبة؛ إذ كانتْ نورشان تسمعُ صوتًا يُناديها من تحتِ الأرضِ حينَ تذهب للنوم، ظلّتْ هكذا حتّى تطورَ الأمر فأضحى الصوت مسموعًا لدى أخويها اللذَينِ ينامانِ بجوارها، بذاتِ الغُرفة التي ينام بها أبيها وأُمّها.

لم تُخبر أحدًا لشدّةِ خوفها، لكنَّها كانتْ تخشى الليل وبخاصّةٍ وقت النوم، فذاكَ الصوت كانَ ينتظرها حتّى تأتي لتنام فتسمعهُ يُناديها بهمسٍ يُرجِفُ قلبها الصغير.

أخبرتْ أُمّها ذاتَ مرّة إلَّا أنَّها لم تهتم، وأمرتها بقراءةِ المُعوذتينِ التي حفّظتها إيَّاهُما سابقًا، فعلتْ ما أمرتها بهِ، لكنَّ الصوتَ لم يختفي، اِعتادتْ عليهِ فلم تَعُد تخشاه.

تمضي الأيَّام ويكبُر البراعم، بينما أشرف على حالهِ الذي لا يتغيّر، وأخلاقهِ الدنيئة، التي يُخفيها عن النّاس ويُظهرها لحياة وبراعمها.

ذهبَ الأبناء الثلاثة إلى بيتِ جدّهم ذاتَ نهار، مرحوا بعض الوقت مع جدّتهم ثُمَّ عادوا، طرقوا الباب، فتحتْ لهم حياة، ثُمَّ دلفوا غُرفتهم، والتي هي الغُرفة الوحيدة بالبيتِ الضيّق الذي يعيشون فيه، اِنهالَ عليهم أشرف بالسُبابِ حتّى بَكوا جميعًا، أخذتْ حياة تجبر خاطرهم حتّى رضوا، لكنَّ أشرفَ لم يَرضى إلَّا أنْ يُقبِّلَها أمامهم، بل ويُكملَ ما كانَ يفعلهُ بجسدِها حالَ غيابهم، زجرتهُ حياة ولملمتْ ما شَّقهُ من ثوبها، ثُمَّ أخذتْ براعمها وجلستْ بهم في صالةِ البيت.

لم تستطع حياة العَيشَ معهُ بعد أنْ ساءتْ أخلاقهُ أو قُلْ ظهر على حقيقته، فلسانه لا ينطق إلَّا بأقبحِ الألفاظ، وحياءهُ معدوم لا وجودَ له، حتّى أنَّهُ كانَ يُحدّثها بأحاديث خاصّة بينَ الرَجُل وامرأته أمامَ ابنتها

البالغة من العُمر تسع سنوات، حاولتْ حياة أنْ تمنعهُ عن أفعالهِ الدنيئة، وألفاظهِ البذيئة إلَّا أنَّهُ لم يمتنع، فطلبتْ منهُ الطلاق.

رفضَ طلاقها وأخذَ ذهبها وباعهُ، ثُمَّ اِشترى بثمنهِ عقدًا للعملِ في إحدى الدول العربية، وسافرَ لترتاحَ من وجودهِ حياة، ويهنأ الأولاد في غيابه، فغيابهِ عن البيت جعلهم يطمئنونَ بعض الشيء.

كَبُرتْ نورشان وها هي قد أكملتْ عامها الرابع عشر، لتزدان بجمالِ حيائها ونُضجِ أنوثتها، وسمّو أخلاقها، وحُسنِ سيرتها، ونُبلها وشهامتها، ممّا جعلَ أبناء المدينة يتسابقونَ في طلبِ الزواجِ منها، إلَّا أنَّها رفضتْ الزواج؛ خوفًا من أنْ تكونَ تِكرارًا لأُمّها المظلومة من أبيها خالي الرجولة.

ظلَّ عمرو يجتهد في دراستهِ حتّى اِحتلَّ المركز الأوّل على مُستوى المدينة في الشهادةِ الإبتدائية، بينما مُصطفى حازَ مركزًا مُتقدّمًا في الصفِّ الخامس الإبتدائي، ولم ينسيا التقدُّم في حفظِ القرآن العظيم بجانبِ دراستهما هُم ونورشان.

رغم مرور بضعة أعوامٍ على سفرِ أشرف إلَّا أنَّهُ لم يأتِ ولو اِجازة، ومع ذلكَ لم يُرسل لها ما يكفيها من النقود، فما يُرسلهُ بالكادِ يكفي دفع الفواتير الشهرية، كَالغاز والكهرُباء والماء، أمَّا الطعام والتعليم والمرض وغيرهِ من الأساسيات، فكانتْ أُمّها تُساعدها فيهِ من معاشِ أبيها _رَحِمَهُ اللَّه_ وبجانبِ هذهِ المصاعب فقد تخلّى إخوة زوجها عن أبناءِ

أخيهم، بل وراحوا ليُلّسنوا عليهم؛ فقط لأنَّهم تفوّقوا على أبنائهم في الخُلقِ والأخلاق، والتعليمِ والقرآن الكريم.

نجحتْ نورشان بتفوّقٍ في الشهادةِ الإعدادية، ودلفتْ الثانويةَ العامّة بمجموعٍ كبير، ممّا أثارَ الغَيرةَ في نفوسِ إخوة أبيها، فراحوا يَدِّسونَ لها الدسائسَ عندَ أبيها الذي حرمها الأُبوّةَ من قبل، حتّى أنَّهُ قد عادَ من سفرهِ الغير مُفيد، ليُنَّغصَ على حياة وأبنائها حياتهم.

اِتفقَ مع إخوتهِ ليُزوّجو نورشان لشخصٍ لا يُوجد بينها وبينهُ أدنى تكافؤ، فقط ليقطعوا عليها مسيرتها التعليمية، ومُحاولتها في عملِ شيءٍ من شأنهِ أنْ يَرقى بها، بعيدًا عن المُستنقع الذي اِبتلاها اللَّهُ بهِ فكانتْ البيئة التي وُضِعتْ فيها.

حاولوا وحاولوا وحاولوا، لكنَّ مُحاولاتهم باءتْ بالفشل، فقد تصّدتْ لهم حياة، وكسرتْ شوكتهم، وأفسدتْ عليهم خُططهم.

زجرَ الإخوة أخيهم أشرف، ممّا جعلهُ يتوّعد حياة وأبنائها، خصوصًا نورشان التي وعدها بأنَّ عامها الدراسي هذا سيكون آخر عهدها بالتعليم، ثُمَّ عادَ إلى حيثُ جاء.

وصلتْ نورشان للصفِّ الثاني من الثانويةِ العامّة، وهُنا كانَ الإبتلاء؛ حيثُ قامَ أشرف بعملٍ سِّحرٍ يُفقدها صحتها وعافيتها، ومن ثَمَّ لا تَقوى على طلبِ العِلم.

أصابها السِّحر فأتعبَ جهازها الهضمي حتّى أنَّها لم تَعُد تأكل كما كانتْ سابقًا، ظَلّتْ هكذا حتّى فقدتْ جسدها في وقتٍ وجيز، رأها مُعلّميها فأصابهم الذهول وسألوها عن جسدها المفقود، لكنَّها لم تستطع إجابتهم!

لم تَكُن تعلم الزهرة أنَّ أباها هو مَن سيتسبب في ذبولها، بل وقطفها من بُستانِ الحياة، حتّى هاتفهم بعد أنْ كادتْ رَّوح نورشان تخرج من جسدها، ليُخبرهم أنَّها قد سُّحِرَتْ وسيتولّى هو فَك سّحرها، فقد تعلّمَ كيفَ يفُك الأسحار من أحدِ شيوخِ الطُرق الصوفية (الضلالية).

زادَ ألمها بعد ما أخبرهم أشرف، ظَلّتْ تذهب من طبيبٍ إلى طبيبٍ حتّى سئمتْ زيارة الأطبّاء، فكلّهم قد أجمعوا على أنَّها بخيرٍ ولا عِلَّةَ فيها، وهي تُشوَى كَالعجلِ الحنيذِ دونَ أنْ تصدرَ عنها رائحة الشِواء، نعم، تُشوَى بالسِّحرِ الذي أذابَ لحمها أمامَ عينها، تُشوَى بنارٍ لا دُخانَ لها، تُشوَى بلهبٍ لا جمرَ فيه.

جاهدتْ نورشان حتّى أكملتْ تعليمها الثانوي بأعجوبة، فقد شَهِدَ مُعلّميها وصاحباتها، وزُملائها وكذا العاملينَ بالمدرسة، جميعهم شَهِدَ التغيُّر الذي أصابها، ووزنها المفقود، وضعفها حدَّ الوهن بعد أنْ كانتْ فتيّة قوية، ذَبُلَتْ الزهرة بفِعلِ فاعل، لكنَّ الأمرَ كُلّهُ للَّهِ.

حاولَ أُمّها وإخوتها وأخوالها مُساعدتها لكنْ دونَ جدوى، فكيفَ سيُساعدونها فيما حَدَثَ لها من غدر، وما فُعِلَ بها من سّحر، وما طالها من أذى دونَ وجهِ حقّ.

اِقترحَ أحد أخوالها الذهابَ بِها إلى أحدِ الشيوخِ بإحدى القُرى بوسطِ الصعيد، بعد أنْ سَمِعَ عن خِبرتهِ في فَكِّ الأسحار، لكنَّها أبتْ؛ خوفًا على شرفها وطهارتها من أنْ يُدّنسها دّجالٌ من الدجاجلة.

فوّضتْ أمرها لخالقها، وأقامتْ على قراءةِ القرآن العظيم حتّى أذهبَ اللَّهُ عنها ما كانتْ تَجِدْ.

تبرأتْ حياة وأبنائها من أشرف أمامَ اللَّه، ثُمَّ أكملوا حياتهم بدونه، بعدما دعوهُ للعودةِ عن طريقِ الشرّ إلَّا أنَّهُ رفض، بينما إخوتهِ يُفاخرونَ بقُدرتهِ على فَكِّ الأسحار، بل ويُدافعونَ عنهُ إنْ نعتهُ أحدهم بالسائرِ على طريقِ الضلال.

3_(السائرُ على خُطى الشَّيطان)

أخذَ المِجرَفة وراحَ ليدُّسها، فما وجدَ غير بؤيرة، ألقاها بِها وعادَ ليتأكد أنَّ الجُثّةَ التي قبرها مخفيةٌ عن الأنظار، ثُمَّ عادَ لبيتهِ لاهثًا يتصبَّبُ عرقًا، جلسَ بغُرفتها التي كانتْ تسكنها حتّى سويعاتٍ فائتة، نَظَرَ لصورتها الموضوعة على المِنضدةِ الصغيرة بجانبِ سريرها، أمسكها وأخذَ يبكي على ما فعلهُ بها حتّى رنَّ هاتفها المحمول، تفحصّهُ فوجدَ يحيى قد اِتصلَ بها عِدّةَ مرّات، وضعَ الهاتف جانبًا حتّى يُفكّر فيما سيقولهُ له، لحظاتٍ وشعرَ بدوارٍ أفقدهُ توازنهُ فسَقَطَ مَغشيًا عليه.

لم يَطمئنّ يحيى لعدم رَدّ نبيلة على اِتصاله، حاولَ الإتصال بأبيها لكنَّ هاتفهُ مُغلق، هاتفَ أُمّهُ وطلبَ منها أنْ تذهبَ لزيارةِ نبيلة ليطمئنَّ قلبهُ عليها.

وبعد نصفِ ساعة كانتْ أُمّ يحيى قد وصلتْ هي وأخيهِ هيثم إلى بيتِ نبيلة، أخذا يطرقانِ الباب، لكنَّ أحدًا لم يفتح لهما، شَدَّدا الطرق ولكنْ دونَ جدوى، خرجا من البيتِ وذهبَ هيثم إلى أمن التجمُّع السكني، بينما أُمّهُ تنتظر في حديقة البيت.

لحظاتٍ وكانَ بعض أفراد الأمن قد أتوا، حاولوا فتح الباب لكنَّهم لم يُفلِحوا، فقاموا بكسرهِ بُغية الإطمئنان على نبيلة ووالدها المُهندس حسين.

كسروا الباب ودلفَ الجميع، أسرعتْ أُمّ يحيى لغُرفةِ نبيلة، فصاحتْ حينَ لم تجدْها، ووجدتْ أباها ساقطًا على الأرضِ فاقدًا وعيه.

حملهُ هيثم وذهبَ بهِ إلى المُستشفى بسيارتهِ ولم ينتظر الإسعاف، بلّغَ أفراد الأمن مُدير أمن التجمُّع السكني، فجاء ليُحقِّقَ في الأمر.

أُدخِل المُهندس حسين العناية الفائقة؛ إذ داهمتهُ غيبوبة السُكري، وظَلَّ على إثرها غائبًا عن الوعي عِدّةَ أيَّام.

كانَ مُدير الأمن _الخاصّ بالتجمُّع السكني_ قد حقَّقَ في الأمرِ فلم يَجدْ أدنى شُبهة جنائية، غير أنَّ نبيلة رُبما تكون قد سافرتْ لوالدتها بمُحافظةِ الغربية.

هاتفتْ أُمّ يحيى رانيا والدة نبيلة، وسألتها عن ما إذا كانتْ نبيلة قد زارتها أم لا، فأجابتها رانيا بالنفي، وسألتْ أُمّ يحيى عن ابنتها الغائبة، وأينَ ذهبتْ، وما الذي حَدَثَ لها؟

لم تستطع أُمّ يحيى أنْ تُخفي حُزنها على غيابِ نبيلة فانهارت باكية لرانيا عبرَ الهاتف، فما كانَ من رانيا إلَّا أنَّها اِستأذنتْ زوجها كريم في السفرِ إلى القاهرة؛ للإطمئنانِ على مصير ابنتها الوحيدة.

لم يدعها تذهب بمُفردها، فجاء معها للبحثِ عن نبيلة التي يُعِدَّها ابنته، وليستْ ابنةَ امرأتهِ رانيا.

بحثوا عنها عندَ صاحباتها، وعندَ الأقرباء، والجيران القُدامى في مِنطقة فيصل، ولكنَّهم لم يُوّفقوا في العثورِ عليها، قاموا بعملِ مَحْضَرٍ بقسمِ شُرطة الشيخ زايد، يُفيد بتغيّبُها عن البيتِ مُنذُ أيَّام، قامَ ضُباط الشرطة بعملِ التحرّياتِ اللازمة بخصوصِ الواقعة لكنَّهم لم يجدوا لها أدنى أثر، ففضّلوا اِنتظار المُهندس حسين حتّى يَفيقَ من غيبوبتهِ ويسألوهُ عنها.

مَرَّ أسبوع وقد جاء يحيى بعد أنْ أخذَ إجازة من عملهِ بإحدى دول الخليج العربي، ليعلمَ ما الذي جرى لحبيبتهِ وزوجهِ نبيلة، التي لم يَدخُل بِها بعد.

فاقَ حسين من الغيبوبة، وخرجَ من العناية الفائقة، ليُقيمَ بغُرفةٍ أُخرى، بعد أنْ أَمَرَ الطبيب المُعالِج ببقائهِ تحت المُلاحظة.

عَلِمَ الضابط سعيد بتحسُّنِ حالتهِ فجاء يسأله.

عَرَّفَ بنفسهِ ثُمَّ أردف: حمدًا للَّهِ على سلامتك بشمُهندس.

حسين: سَلّمكَ اللَّهُ حضرة الضابط.

الضابط سعيد: أودُّ اِخبارَكَ بأنَّ الدكتورة نبيلة ابنتك لم يُعثر لها على أثر، ولا نعلم إنْ كانتْ مُتغيّبة أم حَدَثَ لها مكروه، لا قَدّرَ اللَّه، وقد قامتْ طليقتُكَ السيدة رانيا بعملِ مَحْضَرٍ يُفيد بتغيّبُها، وعلى أساسهِ نُجري تحرّياتنا ونُحقَّق في الأمر.

أخذَ حسين يبكي ويُنادي على نبيلة في حالةٍ يُرثى لها، حتّى جاء الطبيب المُعالِج، وطلبَ من الضابط سعيد بألَّا يُكثِرَ عليه.

اِستجابَ الضابط سعيد لطلبِ الطبيب، ثُمَّ سألهُ عن آخرِ مرّة رأى فيها نبيلة.

أجابَ حسين بأنَّها ذهبتْ إلى صيدليتها كَالعادة.

سألهُ الضابط سعيد عن ما إذا كانتْ قد أخبرتهُ بشيءٍ آخر.

أجابَ حسين بالنفي.

سألهُ الضابط سعيد: هل الدكتورة نبيلة مُعتادة ترك هاتفها بالبيتِ قبلَ الخروج منه؟

تلعثمَ حسين قبلَ أنْ يُجيب: لم أُركز مع هاتفها كثيرًا حضرة الضابط، ثُمَّ عادَ ليبكي من جديد.

أغلقَ الضابط سعيد التحقيق وغادرَ المُستشفى.

مَرّت الأيَّام وعادَ المُهندس حسين لعملهِ بعدَ فترةِ النقاهة التي قضاها، وعادتْ رانيا مع كريم زوجها إلى بيتهما بالغربية، بينما يحيى محزون القلب لم يستطع الذهاب إلى عملهِ فمَدَّ اِجازته.

شعر الضابط سعيد بأنَّ حُسينًا رُبما يكون لهُ دخل في اِختفاءِ نبيلة، لكنَّهُ لم يستطع تحديد ماهية دورهُ فيما حَدَثَ لها، فظَلَّ يبحث عن

طرفِ خيطٍ يُفيدهُ في التحقيق، حتّى ساقَ القدر إليهِ عِمارة، القائم على شؤون مكتب أبيها بالشركة التي يعمل بها.

اِستأذنَ عِمارة في الدخول، أُذِنَ لهُ فدلف، عَرَّفَ بنفسه، رَحَّبَ بهِ الضابط سعيد، وطلب

لهُ مشروب الشاي.

أخبرهُ عِمارة بأنَّهُ قد عَلِمَ بإختفاءِ الدكتورة نبيلة، لذا جاء ليُدلي برأيه، رُبما يُفيد ولو بعض الشيء.

أخبرهُ أنَّهُ قد شاهدَ نبيلة تُهددُ أباها بأمرِ قطعةِ الأرض التي غصبها صاحبها، أخذَ حسين يُطمئنها بأنَّهُ سيُنهي أمرها ويردّها لصاحبها، لكنَّها لم تهدأ وتابعتْ: يبدو أنَّكَ نسيتَ كيفَ ربّتني أُمّي أبي!

لكنْ لا عليك، ستعلمُ أنَّها قامتْ بواجبها نحوي على أكملِ وجه، ليسَ كأنتَ أبي، ستعلم حينَ أُبلِغُ الشرطةَ بما تفعلهُ سرًّا تحتَ مُسمّاكَ الوظيفي، وقد أمهلتُكَ كثيرًا أبي ونهيتكَ ولكنَّكَ لا تنتهي، إذًا لتُحاسَب على فِعالكَ التي عَمِلتها بمحض إرادتك.

ثُمَّ أكملَ عِمارة: كانَ هذا قبلَ أنْ تختفي بأسبوع، وكانتْ قد وعدتْ ابنتي فاطمة بالعملِ معها خلالِ هذا الشهر، لكنَّ القدرَ لم يُمهلها لتُوفي بوعدها، ثُمَّ بَكى.

لم يسألهُ الضابط سعيد أيّة أسئلة، فكُلّ ما يَشغل بالهُ الآن هو البحث والتحرّي أكثر عن المهندس حسين.

عَلِمَ حسين ذات يوم أنَّ الضابط سعيد قد تحرّى عنهُ في عملهِ القديم، ولا زالَ يُجري تحرّياتٍ عنهُ في مُحيطِ عملهِ الحالي، ومحلّ إقامتهِ السابق والحالي، بل واللاحق الذي سينقل إليهِ إقامتهُ بعدَ يومان.

فَكَّرَ حسين كيفَ ينفي شُبهة اِشتراكهِ في إخفاءِ نبيلة، فَكَّرَ وفَكَّرَ وفَكَّر حتّى هداهُ تفكيرهُ الشَّيطاني لعملٍ خبيث.

قامَ بشراءِ جُثّةٍ لفتاةٍ في مِثلِ عُمر ابنته، عن طريقِ أحد معارفهِ بإحدى المشرحات، ثُمَّ وضعها على سريرِ نبيلة وفي غُرفتها، بعد أنْ أخبرَ أمن التجمُّع السكني بالعثورِ عليها، وبعدها قامَ بإشعالِ النار في غُرفتهِ المُجاورة للمطبخ، ثُمَّ بغُرفةِ نبيلة، وأغلقَ الأبواب والنوافذ بإحكامٍ حتّى غدتْ غُرفة نبيلة كُتلة من اللهب.

حينها فتحَ النوافذ ليخرجَ منها مُستصغرِ الشرر، وفتحَ الأبواب وأخذَ يستغيث علَّ أحدهم ينجده.

هَبَّ أفراد الأمن في نجدته، وحاولوا مِرارًا اِطفاء الحريق الذي كانَ قد اِلتهمَ الطابق الأرضي، لكنَّ النارَ تزداد اِشتعالًا، فقاموا بطلبِ المطافئ، وبلّغوا قسم الشرطة بالواقعة، كما طلبوا الإسعاف.

أتتْ المطافئ فأطفأتْ ما استطاعتْ إطفاءهُ بعد أنْ أضحى البيت رُمادًا، وتَمَّ نقل الجُثّة المُحترقة إلى المُستشفى عن طريقِ الإسعاف، بينما حسين قد نقلهُ أحد السُّكان بسيارتهِ الخاصّة للمُستشفى.

حَضَرَ الضابط سعيد وأثبتَ الواقعة بمحضرٍ رسمي، وسَمِعَ من الشهود ثُمَّ ذهبَ إلى المُستشفى.

خَرَجَ الطبيب ليُخبرَ حسين المُتّكئ على أحد المُمرضين أنَّ ابنتهُ قد فارقتْ الحياة بعد أنْ تفّحمتْ جُثّتها، ولم يتبَّقى منها سوى بعض الرُفات.

انهارَ حسين من البُكاء، ثُمَّ طلبَ من الطبيب سُرعة الإجراءات بخصوصِ تصريح الدفن، كي يُواري رُفات نبيلة التُراب.

اِنقضتْ بضع ساعاتٍ وقد وارى حسين ابنتهُ (المُزوّرة) التُراب.

لم يَكُن يعلم حسين أنَّهُ بفِعلتهِ النكراء قد قامَ بفتحِ ملفِ التحقيقاتِ من جديد، فالضابط سعيد قد اِستدعاهُ عِدّةَ مرّاتٍ لسؤالهِ عن الكيفيةِ التي عثرَ بها على الفقيدة، لكنَّهُ اِستطاعَ التمّلُص من الأسئلة بطريقةٍ أخبرهُ بها مُحاميهِ العتيق.

مَرَّ عامٌ على غلقِ قضية نبيلة، وقد باعَ أبيها قطعة أرضٍ يمتلكها لإحدى الشركات العقارية، بأضعافِ ثمنها، نَظرًا لموقعها المُتمّيز والذي جعل الشركة تُسارع في شرائها.

بدأتْ الشركة في تنفيذِ بعض مشروعاتها على الأرضِ فورَ اِستلامها، حتّى إذا ما وصلوا لبعض العُمق وجدوا رُفاتًا قد تحلل، يبدو عليهِ أنَّهُ لجُثّةِ فتاة، أخبروا قسم الشرطة التابعة لهُ الأرض.

جاءتْ قوات الشرطة بِصُحبةِ فريقٍ من البحثِ الجنائي، تَمَّ عمل اللازم ثُمَّ نُقلتْ الرُفات إلى الطب الشرعي، لفحصها ومن ثَمَّ بَيان سبب الوفاة.

عَلِمَ حسين بالواقعة فجهَّزَ أوراقهُ للسفرِ خارج البلاد، لكنَّ نتيجة الطب الشرعي قد أعاقتْ سفرهُ بعد ظهورها، وبَيان أنَّ الرُفات لابنتهِ نبيلة، ويعود سبب الوفاة إلى كسرٍ بقاعِ الجُمجُمة أدى لنزيفٍ داخلي أفقدها حياتها.

كما تَمَّ العثور على مِفتاحٍ لإحدى أدراج مكتب حسين، قد سقطَ منهُ وهو يُواريها الثرى، تَبيّنَ هذا بعد رفع بصماته.

وقد اِستدعتْ النيابة العامّة حسين للمثولِ أمامها، ثُمَّ وُجِهَتْ إليهِ تُهمة قتل ابنتهِ نبيلة، حاولَ نفي ما نُسِبَ إليه، لكنَّهُ انهار واعترفَ بعدما رأى المِفتاح الذي يبحث عنهُ مُنذُ عام.

ثُمَّ اعترفَ بالواقعة، وأنَّهُ قد دفعها بقوّةٍ أثناء مشادّة كلامية بينهما، فارتطمتْ رأسها بالحائط وانفجرَ الدم منها، حاولَ إنقاذها لكنَّها لفظتْ أنفاسها الأخيرة داخل السيارة، وقبلَ أنْ يصلَ بها إلى المُستشفى، فما

كانَ منهُ إلَّا أنْ قبرها في أقربِ مكانٍ من أراضيهِ التي يمتلكها، فكانتْ قطعة الأرض التي عُثر عليها بها.

أمَّا عن الجُثّةِ المحروقة، فقد اِعترفَ بأنَّهُ قد فعلَ هذهِ الفكرة بُناءًا على نصيحةِ صاحبهِ يعقوب، وهو أيضًا مَن يَسَّرَ لهُ أمرها، سألوهُ عن محلّ إقامتهِ فأخبرهم.

ذهبوا إلى حيثُ أخبرهم حسين عن محلِّ إقامةِ يعقوب لكنَّهم لم يجدوه، فقد سافرَ مُنذُ شهرين إلى إحدى الدول الأوروبية، بعدما عَلِمَ بفتح ملف التحقيقات ثانيةً.

كما اِعترفَ حسين بالأعمالِ السيئةِ التي كانَ يفعلها، من تقاضي الرِشوة، وغيرها من قضايا الفساد، وهذا ما سَبَّبَ الخِلاف بينهُ وبينَ نبيلة، بل وكانَ سببًا في وفاتها.

اِستأذنَ حسين في الحصولِ على المِفتاح، وفتح الدرج الذي يحوي ما يُدينهُ من ملفاتٍ بمكتبه.

تَمَّتْ إحالة أوراق حسين إلى فضيلةِ المُفتي بعد ثبوت الأدلة ضده، بالإضافةِ لإعترافاته.

4_(دُميةُ زوجي)

مي ألم أقُل لكِ مِرارًا أنَّ يومَ الجُمعةِ هو يومُ بياتنا مع أُمّي؟

مي بصوتٍ مُنخفض: بلى سمير.

سمير في غضبٍ: إذًا عَلَامَ التأخير؟

مي: حسنًا سأعُدّ الحقيبة في دقائق.

راحتْ لتُعِدَّ الحقيبة بينما سمير يُهاتفُ أُمّه.

أعدَّتْ الحقيبة وذهبتْ بصُحبةِ سمير إلى بيتِ أُمّهِ في الشارع المُجاور.

رحَّبتْ بهما الأُمّ، ودعتهما لتناولِ الطعام الذي أعدَّتهُ لهما خِصيصًا، ثُمَّ أشارتْ لهما على غُرفتهما، وأخبرتهما بأنَّ المُفاجأة تنتظرهما بالداخل.

تناولا الطعام بسُرعة، ثُمَّ دلفا بعد ما اِستأذنا الأُمّ، ليُفاجأ؛ فقد زيّنتْ لهما الغُرفة، ووضعتْ بها الشموع الحمراء، ونثرتْ وردًا أحمرًا على الأرضيةِ والسرير، كما أشعلتْ بخورًا زكيّ الرائحة، ولم تَنسَ وضع ضوءًا خافتًا لتُكمِل لهما الرومانسية.

أمسكَ سمير بيدِ زوجهِ وطبعها عليها قُبلةً حانية، وأخذَ يُحدّثها بأعسلِ الكلام حتّى لانتْ له، فردَّتْ لهُ القُبلة ولكنْ بينَ عينيه.

مَرَّ وقتٌ يسير وقطعَ السكون صوت سمير وهو ينهر مي، حتّى أنَّ الأُمّ خرجتْ من غُرفتها، وطرقتْ بابهما لتعلمَ ما الذي يَحدُث؟

خَرَجَ سمير مُتذمِرًا يستر جسدهُ بقميصٍ اِرتداهُ على عُجالة، بينما مي تستتر في ملاءةِ السرير، ودمعها يذرف دونَ أنْ تُصدرَ صوتًا.

اِقتربت منها الأُمّ واحتضنتها لتُطمئنها، ثُمَّ خرجتْ وتركتها.

جلستْ أمامَ ابنها وسألتهُ عن سببِ دمع مي وصوتهِ العالي؟

تنّهدَ قبلَ أنْ يُجيبها: لا شيء أُمّي.

ربتتْ على يدهِ بحنانٍ قبلَ أنْ تُضيف: كيفَ لا شيء، ودمع مي لا يتوّقف، وغضبك لم تستطع إخفاءه.

نَظَرَ إليها فرأتْ عَبراتهِ وقد تساقطتْ، احتضنتهُ فأخذَ يبكي كَطفلٍ لم يَحصل على ما أراد.

ثُمَّ أخبرها أنَّ مي لا ترغب به، ورُّبما غُصِبَتْ على الزواجِ منه.

نَظَرَتْ إليهِ الأُمّ بِفَمٍ فاغر، وسألته: مَن أوهمكَ بما تقول ولدي؟

أفعالها قالتْ لي ما أخفاهُ قلبها أُمّي، قالها بحسرةٍ بالغة.

الأُمّ: لا تَكُن عجولًا بُنيّ، تريّث بعض الوقت، فلم يَمضي على زواجكما سوى أسابيعٍ معدودة، رُّبما لم تعتاد طِباعك، رُّبما لم.....

قاطعها سمير: ليسَ الأمرُ كما تظنّينَ أُمّي.

الأُمّ: إذًا ماذا؟

سمير: لا أستطيعُ إخبارِكِ بشيءٍ خاصٍّ بيني وبينَ زوجتي أُمّي، فهي سرّي وأنا سرّها كما علّمتيني.

تبسمتْ لهُ الأُمّ قبلَ أنْ تُقبّلَ جبينهُ وتُردف: أحسنتَ ولدي، هكذا هي أخلاق الرجال، ما دامَ الأمرُ كذلكَ فلتُجالسها وتسمع منها، ولا تَنسَ أنْ تحنو عليها.

تبسمَ لها وأومأ برأسه.

دلفَ سمير ليَرى مي وقد اِغتسلتْ، واِرتدتْ ثوبًا أنيقًا وتزيّنتْ بالكُحلِ وظلال الشُفاه، بعد ما تطيّبتْ بالطِيبِ الذي يُحِبُّهُ.

لم يستطع أنْ ينبسَ ببنت شفة، اِقتربتْ منهُ وقَبّلَتْ جبينه، وأخذتْ تَنظُرُ لوجهِهِ ويكأنَّها تتعرّفه، ثُمَّ قدّمتْ لهُ اِعتذارًا عن ما بدرَ منها فأشعلَ غضبه.

قَبِلَ اِعتذارها، وقدَّمَ لها اِعتذارًا عن غضبهِ منها، ثُمَّ قَبَّلها بينَ عينيها، وجلسا يتحدّثانِ فسألها: مي لِمَ قَبِلتِ الزواجَ منّي؟

تفاجأتْ بسؤالهِ لكنَّها لم تُبدي له، وقبلَ أنْ تُجيب اِستحلفها باللَّهِ أنْ تصدقهُ القول.

نَظَرَتْ إليهِ بدهشةٍ وخجل، ثُمَّ أجابته: قد رأكَ إخوتي مُناسبًا فتمَّ الزواج.

ظهرتْ علامات الدهشة على وجهِ سمير، قبلَ أنْ يسألها: ماذا؟

مي بصوتٍ يشوبهُ الخوف: قد صدقتكَ القول.

سمير بصوتٍ حزين: إذًا أنتِ لا تُحبّينني مي؟

مي وكادتْ أنْ تسقط عَبراتها: مَن قالَ لكَ هذا الكلام؟

سمير: ألهذهِ الدرجة تُحِبّينهُ وتحفظينَ لهُ قلبك؟

مي وقد ذرفتْ عيناها: سمير.....

قاطعها: دموعكِ وصوتكِ المُرتجف أجاباني.

مي: سمير باللَّهِ عليكَ لا تظلمني.

سمير وقد ذرفَ دمعه: وما ذنبي أنا مي؟

وما هي جِنايتي؟

قد عَلِمتُ بخبرِ قلبكِ مُنذُ الليلةَ الأُولى التي جمعني اللَّهُ بكِ فيها، لم تستطيعي أنْ تُمّكنينني من نفسكِ برضاكِ، لكنَّهُ الخوفَ من إخوتكِ جعلكِ تُمثلّينَ رغبتكِ بي.

مي: سمير.....

قاطعها: لا تقولي شيئًا بل أنا مَن سأقول، أتعلمينَ أنَّني أحببتُكِ مُنذُ زمنٍ لذا اِخترتكِ دونَ غيركِ من الفتيات، ولأنَّني قد وقعتُ في الحُبّ،

لذا لن أضغطَ عليكِ بعدَ الآن، وسأتركُكِ بعضَ الوقتِ لتُفكّرين، وما تُريدينهُ سيحدُثُ ولن يَحدُثَ غيره، ثُمَّ ذهبَ إلى شقته، بينما هي ظلّتْ مع أُمّهِ لتأخذ وقتها في التفكير.

طرقتْ مي بابَ غُرفة حماتها، أَذِنَتْ لها بالدخول، دلفتْ وجلستْ بجانبها، ثُمَّ طلبتْ منها أنْ تُنصتَ إليها فيما تُريدُ البوحَ به، أومأتْ لها حماتها، لتشرع في سردِ ما تحفظهُ بقلبها.

حُرِمتُ الأُبوّةَ أُمّي رُقية، ولم أجدها في أحدٍ بعدَ أنْ حرمنيها أبي عمدًا، حينَ تركنا وذهبَ ولم يعود، حسابهُ على اللَّه، بعدها ظللتُ أتعلّمُ دونَ أنْ أُفكّرَ بالزواج؛ نظرًا لظروفنا وما نَحنُ فيهِ من هموم، حتّى أرسلَ اللَّهُ إليَّ أحدهم ليُشعرني بقلبي، الذي ظننتهُ غير موجود طِيلةَ عُمري، جاءنا خاطبًا وفرحتُ بهِ أيُّما فرح، وسعدتُ سعادةً لم أسعدها من قبل، لكنَّ إخوتي قد رفضوا زواجي، وكسروا فرحتي بهِ فكُسِرَ شيءٌ ما بداخلي، فوّضتُ أمري لرَبّي وأكملتُ تعليمي، وتركتُ فكرة الزواج، لأنَّني أدرى بنفسي، وأعرفُ بقلبي، وأعلمُ أنَّني لن أستطيعَ إسعاد أحد غير الذي أسكنَ اللَّهُ حُبّهُ القلب، لذا رفضتُ الزواج، والقلوبُ بينَ أُصبعي الرحمٰن.

ثُمَّ أتانا سمير خاطبًا فوافقَ إخوتي وأُمّي دونَ أنْ يسألونني رأيي، إذ العُمرُ قد مَرَّ دونَ أنْ أشعُرَ به، ولا بُدَّ من اللحاقِ بقطارِ الزواج قبلَ أنْ يفوتني، وسمير لا ينقصهُ شيء، وكُلّ الفتيات يتمنّينه، وكُلّ

العائلات ترغب في مُصاهرته، ونَحنُ كما تعلمينَ أُمّي لسنا وُجهاء، فمعنى أنَّ سمير يُفضّلني على غيري أنَّهُ يُحِبُّني، تَمّتْ الخِبطة في أسبوعين وعقبها الزواج.

قولي لي أُمّي رُقية ءأنا مُخطئةٌ في شيء؟

ثُمَّ اِنهارتْ باكية.

كفكفتْ حماتها دمعها، واحتضنتها، ثُمَّ أخبرتها أنَّها لم تُخطئ في شيء، ونصحتها بأنْ تُفكّر بما يُناسبها الآن، بعد أنْ أضحتْ ثيّبًا لا بِكرًا.

ظلَّتْ مي تُفكّر حتّى اِهتدتْ للحلّ، وهو أنْ تُكمِلَ حياتها مع زوجها سمير الذي يُحِبُّها، مُعرضةً عن فكرةِ الطلاق؛ كي لا تعودَ لإخوتها ثانيةً بعدَ أنْ زوّجها اللَّه، وحتّى لا يتحدّث النَّاس عنها بسوء، إذ لم يَمضي على زواجها سوى أسابيعٍ معدودات.

حاولتْ مي أنْ تُسكِنَ سمير قلبها بدلًا من ساكنهِ فلم تُفلح، أحبَّتهُ حُبّ العِشرة، لكنَّ قلبها مُغلقٌ على مَن فيه.

تفكّرتْ مي في عَلاقتها بسميرٍ فشعرتْ بأنَّها دُمية لا زوجة؛ حيثُ أجبرتْ نفسها على التعايُشِ مع واقعها المُقدّرَ لها، قبلَ أنْ يخلقَ الرحمٰنُ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فأضحتْ سنون عُمرها مُجرد أيَّامٍ مُتشابهات، لا غايةَ منها ولا رغبةَ فيها.

قرّرتْ أنْ تُدخلَ السرورَ على قلبِ زوجها، فزوّجتهُ بفتاةٍ خَلوقة، جميلة، نبيلة، ذات نسبٍ مُشرّف، تصغرها بثلاثةِ أعوام، أي أنَّها تصغر سمير بأربعةِ أعوام، وافقَ سمير بعدَ أنْ ألَّحتْ عليهِ؛ كي يُنجبَ منها الولد، بعد أنْ حُرِمتْ هي هذهِ النعمة، وقد كان، فبعدَ عامٍ من الزواج وضعتْ امرأة زوجها توأمينِ من الأولاد، ليسعدَ قلب سمير وتسعد بسعادتهِ مي.

5_(هُناكَ تختفي الأشياء)

فتحت عيناها بصعوبةٍ لتَرى نفسها مُستلقية على الرمال، تحت أشَّعة الشَّمس الصباحية، حولها جَمعٌ غفير من الفتيانِ والفتيات، هُم يعرفونها جيّدًا لكنَّها لا تعرفهم!

نهضتْ فإذ بها ترتدي لباسها الخاصّ بالخروج، نفضتْ عنها الغُبار، وخطتْ بعض الخطوات لتُفاجأ بأنَّها على شاطئ البحر، أغراها مَشهدهُ الأخَّاذ لكنَّ شيئًا ما أخافها، تراجعتْ وأخذتْ تسأل مَن حولها لكنَّ أحدًا لم يُجبها.

أخذتْ حقيبة سفرها التي كانتْ بجوارها حالَ اِفاقتها، وهَمّتْ عائدة إلى البيت، لكنْ لا يوجد مَخرج، فكُلَّما سَلَكَتْ طريقًا أودى بِها لداخلِ المكان لا خارجه، كما أنَّ البحرَ يُحيط بِها من جميعِ الإتجاهات.. إذًا كيفَ السبيلُ إلى الخروج؟

اِقتربتْ من إحداهُنَّ لتسألها عن ماهيةِ هذا المكان، فأخذتْ تضحك وذهبتْ، سألتْ أحدهم ففعلَ كما فَعَلتْ تلك الفتاة، تقدّمتْ من مجموعة لا تدري إنْ كانوا فتيان أم فتيات!

فظاهرهم مُتشابهٌ إلى حَدٍّ كبير، ألقتْ عليهم السلام فلم يُجيبوا، عادتْ لحقيبتها التي تركتها من لحظاتٍ فلم تَجدْها، سألتْ مَن كانوا قريبينَ منها فأخذوا يضحكون، تركتهم وراحتْ تبحث عنها حتّى وصلتْ لحافّةِ

البحر، ليُعطيها أحدهم حقيبتهُ كَأمانةٍ تحفظها لهُ إلى أنْ يأتي ويأخذها بعد دقائق.

جلستْ على الشاطئ ومعها الحقيبة، أغراها موج البحر فشردَ ذهنها لثوانٍ فلم تَجدْ الأمانة، أخذتْ تبحث عنها ولكنْ لا أثرَ لها، أتى صاحب الأمانةَ ليوبّخها وذهب.

أخذتْ تبكي على ما هي فيه، فلا هذا المكان مكانها، ولا هؤلاءِ النَّاس يُشبهونها، حتّى المَخرج لم تَجده، نَظَرَتْ إلى السماءِ ورفعتْ أكُفَّ الضراعة للَّهِ ربّ العالمين، لحظاتٍ وجاءها شابٌّ وسيم ليُلهيها عن تضرعها، لكنَّها لم تنتبه له، وأخذتْ تُناجي رَبّها بأسمائهِ الحُسنى، فتحوّل صوت الشابّ إلى ضوضاءَ مُخيفة، نَظَرَتْ إليهِ فإذ بشبحٍ مُرعب قد تمثّلَ لها.

هرولتْ من أمامهِ فوجدتهُ أمامها، وقفتْ مكانها لتَسألهُ ماذا يُريد؟

ليُجيبها بغرور: لم أنتظركِ حتّى تأتي وتسأليني، فما أُريدهُ آخُذهُ متى أردته، وأنظري حولكِ لتَري بأُمِّ عينكِ ما أخذته، حوّلتْ بصرها ثُمَّ أضافتْ: لم أرى سوى أبناءك، أليسوا كذلك؟

سَخِرَ منها قبلَ أنْ يُردف: ومَن أنتِ حتّى أُريكِ أبنائي؟

هؤلاءِ بشرٌ مِثلكِ، لكنَّهم ليسوا مِثلكِ، فقد اِختفتْ أشياءهم ولم يبحثوا عنها، غيركِ أنتِ نوال، فأنتِ تبحثينَ عن حقيبةٍ مُجرد حقيبة اِختفتْ منك، أمَّا هُم فقد اِختفى منهم ما هو أعظم وأثمن.

أخذتْ نوال تُفكّر لكنَّ تفكيرها لم يُسعِفها، فطلبَ منها أنْ تُدّقق النظرَ فيهم، فعلتْ فراعها ما هُم فيه، أسرعتْ إليهم لتُخبرهم أنَّ الشَّيطانَ قد فتنهم وسرقَ دينهم، لكنَّهم يتضاحكونَ من حديثها، ويتراقصونَ فيما بينهم، تركتهم وحاولتْ الخروجَ من فَخِّ الشَّيطان لكنَّها لم تُفلِح، خارتْ قواها فخانتها قدماها لتسقط على الأرض، دمعها يذرف دونَ توّقُف، وقلبها يلهج بالدُعاءِ قبلَ لسانها أنْ يحفظَ اللَّهُ دينها ولا يَبتليها فيه.

فتحتْ السماء أبوابها بأمرِ رَبِّها، فهطلَ المطر، تساقطَ المطر على وجهها لتعودَ وضاءتهُ من جديد، نهضتْ لتَرى حقيبتها المُختفية قد ظهرتْ، سارتْ فوجدتَ مَخرجًا، أخذتْ تُهلل وتُكبّر فجاءها الشبح ثانيةً ومعهُ ألوف الأشباح، ليُخيفها لكنَّها ما خافتْ، بل وقفتْ أمامهُ بجسارةِ عبّاس، وأخذتْ تقرأ ما جالَ بخاطرها من آي الذكر الحكيم، فكانتْ آية الكُرسي، اِختفتْ الأشباح في غمضةِ عَين، أخذتْ حقيبتها وأثناء عودتها فُوجئتْ ب.....

نوال، نواااااااال ابنتي الحبيبة، ما الذي رأيتيهِ في منامكِ جعلكِ تصرخينَ هكذا؟

فاقتْ نوال من نومها، نَظَرَتْ حولها فرأتْ نفسها في غُرفتها، وأُمّها تحتضنها لتُذهبَ عنها الروع، أخبرتْ أُمّها بخبرِ الجزيرة التي تختفي فيها الأشياء.

تعجبتْ الأُمّ من خبرِ تلكَ الجزيرة وعقّبتْ: حتّى الدّين يُسرق إنْ لم يُحفَظ.

6_(مِفتاح سِرّ الحياة)

خُذهُ منّي باللَّهِ عليكَ يا عَمّ، فمدينتُنا قد اِمتلأتْ حتّى قَرَّرَ الحاكم أنَّهُ لا إنجابَ بعدَ اليوم، وللأسفِ الشديد قد كانتْ امرأتي حاملًا بهذا الذكر، ولم أستطع إجهاضِها خوفًا عليها من أنْ تَفقِدَ حياتها.

استغفرُ اللَّهِ العظيم وأتوبُ إليه، استغفرُ اللَّهِ العظيم وأتوبُ إليه، من أيّ المدائنِ أنتَ يا هذا؟

من مدينةِ سِرّ الحياة، واسمي فِهر، وهذا الولد قد جعلتهُ في كِفالتُكَ بعدَ اللَّه، فلتُسمّهِ وتُربّيه.

عجبًا لأمركَ فِهر، فسِرّ الحياة مدينةٌ قد قرأتُ عنها وأنا طفلٌ صغير في إحدى قصصِ الخيال، كما أنَّها لم يَكُن لها وجود على أرضِ واقعنا، ثُمَّ إنَّكَ تقولُ قد اِمتلأتْ، بماذا اِمتلأتْ؟

أجابهُ فِهر بأنَّها قد اِمتلأتْ بالأعدادِ التي حدّدها الحاكم من البشرِ والحيوان، لذا تَقَرّرَ عدم الإنجاب.

سألهُ العجوز: وماذا عن الحيوان، أمنعهم الحاكم من الإنجابِ أيضًا؟!

أجاب فِهر: قد تَمَّ ذبح ذكور الحيوان، وبقيتْ الإناث فقط.

عَمّ لم تُعرّفني على اسمك بعد.

اسمي أحمد الحَسن، ولكنْ مَن دَلَّكَ عليّ؟

اسمكَ جميلٌ كأنتَ عَمّ أحمد، لم يَدُلّني عليكَ غير هذا الولد، فطِيلة الطريق يَبكي بشدّة، خصوصًا بعدَ أنْ خرجنا من سِرّ الحياة، لكنْ حينَ نزلتُ بأرضكم واقتربتُ من بيتكَ رأيتهُ سَكَنَ وسَكت، اِبتعدتُ عن بيتكَ فعادَ يَبكي من جديد، فعَلِمتُ أنَّكَ المُراد كما أخبرتني مَنسيّة.

أحمد: ومَن تكونُ مَنسيّة؟

وبماذا أخبرتك؟

فِهر في عُجالة: المعرفة تحتاجُ لسعيٍ عَمّ أحمد، اِبحث عن مدينتنا وستجدْ إجابة ما يدورُ بذهنك، والآن أستودعكَ اللَّهُ الذي لا تضيع ودائعه.. سنظلّ في اِنتظاركَ إلى أنْ تأتينا.

دلفَ أحمد بيتهُ حامِلًا الولدَ بينَ ذراعيه، ثُمَّ وضعهُ في سريره، وأحاطهُ بالوسائد خشيةَ أنْ يَقَعَ على الأرض، وراحَ يبحث لهُ عن لبنٍ يُرضعهُ إيَّاه.

مَرَّ وقتٌ يَسير وعادَ أحمد بلبنِ غنمٍ ليُطعِمَ الرضيع.

اِستطاعَ أنْ يُطعِمَهُ اللبنَ بعدَ عناء، حتّى اِرتوى الولد ونامَ قرير العَين، نَظَرَ إليهِ أحمد فقبَّله، ثُمَّ أخذَ يبحث لهُ عن اسمٍ حتّى هُدِيَ إلى اسمِ منصور.

أضحى أحمد مشغولًا طِيلة اليوم بساعاتهِ الأربع وعشرون، ما بينَ تغذية وتربية منصور، غير الإهتمام بنظافتهِ والعمل على راحته، بالإضافةِ لتوفيرِ الجوّ المُناسب له.

ظَلَّ هكذا حتّى بلغَ منصور عامهُ الخامس، وهُنا تذكّرَ أحمد حديث فِهر عن سِرّ الحياة، فأخذَ يبحث في أرشيفِ مكتبتهِ العتيقة عن ما يَدُلّهُ عليها حتّى وجدَ مُبتغاه.

وَجَدَ كِتابًا قد تغيّرَ لونهُ وسالَ حِبرُ بعض صفحاتهِ نَظرًا لعتاقته، أخذَ يقرأ فيهِ عن سِرّ الحياة، وهل هي حقيقة أم خيال؟

فكانتْ المُفاجأة أو قُلْ الصدمةَ بالنسبةِ له؛ حيثُ تُعَدُّ سِرّ الحياة مدينة خيالية، كانتْ وما كانتْ، لا يعرف عنها إلَّا مَن كانَ لهُ عَلاقةٌ بِها، ولا يظهر سُكّانها للعامّة، فقط يظهرونَ لمَن وثقوا فيه، بعدها يأتمنونهُ أمانة يخشونَ ضياعها، فإنْ كانَ أهلًا للأمانةِ نالَ خير سِرّ الحياة.

ثُمَّ تَابَعَ: ما كُتِبَ بآخرِ صفحة من الكتاب، سيكون هُناكَ مِفتاح، تُفتَح بهِ سِرّ الحياة، لتَرى وتُرَى، لكنَّ مِفتاحها ليسَ من المعدن، وإنَّما هو مِنها وهي منه، يأتي بهِ مُربّيه، الذي أخذهُ من أبيه، لتعودَ لهم السعادة، وتتغيّر عندهم العادة.

وضعَ أحمد الكتاب جانبًا وأخذَ يُفكّر حتّى هداهُ تفكيرهُ إلى أنَّ منصورَ هو المِفتاح، فما سُطِرَ بالكتابِ مُنطبقٌ عليه، لكنْ كيفَ السبيلُ إلى سِرّ الحياة؟

أخذَ يُقلِّب في صفحاتِ الكتاب ثانيةً عَلَّهُ يَجدْ ما يبحث عنه، دقائقَ ووجدَ ما يُريد في الصفحةِ الخامسة بعد المائة، تقول الحكيمة مَنسيّة: سيكون بيتهُ علامة على صدقه، فإذا اِطمأنَّ الرضيع إليه، زادَ الحِملُ عليه، فأخذَ يبحث عن السبيل، ليشفي سؤالهُ العليل، ويبلغَ بالفتى الإكليل، ولم يعلم العجوز أنَّ الفتى هو الدليل.

أغلقَ أحمد الكتاب وأعادهُ لمحلّه، ثُمَّ خرجَ من المكتبةِ ليَرى منصور جالسًا يرسمُ شيئًا ويكأنَّهُ خريطة!

اِقتربَ منهُ وسألهُ: ماذا ترسمُ يا ولدي؟

كانتْ الصدمة في إجابةِ منصور: أرسمُ سِرّ الحياة أبي أحمد.

اِتسعتْ حدقتا أحمد عن آخرهما، ثُمَّ سألهُ: وكيفَ عرفتَ سِرّ الحياة؟

أجابهُ منصور بأنَّهُ يحلُمُ بِها دائمًا، بل ويَرى نفسهُ وهو يفتحُ بوّابتها الضخمة، وشعبها يُرحّب به، ويكأنَّهُ فارسٌ مغوار.

تبسمَ لهُ أحمد ثُمَّ سألهُ: ما رأيك في أنْ نذهبَ إليها؟

تهللتْ أسارير منصور قبلَ أنْ يُضيف: أحقًّا أبي أحمد؟

أجابهُ أحمد بذاتِ البسمة: أجل ولدي، لنُحقِّقَ حُلمكَ سويًا.

أعدَّ أحمد عُدّتهُ وذهبَ بمنصور، بعدَ أنْ أغلقَ بيتهُ الذي يتوّسطُ حِجر الجبل، ثُمَّ زارَ قبر زوجهِ وابنه، قبلَ أنْ يُغادر.

سارا بُناءً على ما رسمهُ منصور، فوصلا بعد يومين، لكنَّهما لم يَجدا بوّابة المدينة، ووجدا جدارًا عظيمًا من الصخر، ظنَّ أحمد أنَّهُ طريقٌ خاطئ، لكنَّهُ تراجعَ عن ظنّهِ حينَ رأى على ميمنةِ الجدار بؤيرة، أخذ منصور وذهبَ إليها، شَربَ منصور حتّى اِرتوى، أمَّا أحمد فلم يُنزل بصرهُ عن الجدار.

لحظاتٍ معدوداتٍ وتصدّعَ الجدار، فظهرتْ من خلفهِ البوّابة، فَرِحَ أحمد ونَظَرَ إلى منصور فوقفَ مشدوهًا لا ينبسُ ببنت شفة؛ إذ أنَّ منصورًا قد أصبحَ يافعًا وبدتْ عليهِ علامات النُبل والشجاعة، بينما أحمد كما هو لم يتغيّر.

عَلِمَ أحمد أنَّ ماء البؤيرة رُبما أُلقيَ بهِ بعض السِّحر، فاحتضنَ منصور وسألهُ إنْ كانَ يشعر بشيءٍ أو لا؟

فأجابهُ منصور بأنَّهُ يشعر بالقوّة.

اِقتربا من البوّابة، طلبَ أحمد من منصور أنْ يحفرَ عليها اسمه، فَعَلَ عن طريقِ حجرٍ من الصخر، فما هي إلَّا ثوانٍ وفُتِحَتْ البوّابة.

دلفا ليُفاجأ أحمد بفِهرٍ ومعهُ جموع أهالي المدينة، تقدّمَ فِهر من منصور وأخذَ يشُمّه، ففاضتْ عيناه، أخبرَ أحمد منصور بما حَدَثَ إذ كانَ رضيعًا فألقى بنفسهِ في حضن أبيه.

سأل أحمد فِهر عن تلكَ البؤيرة، فأجابهُ بأنَّ ماءها لا يُستساغ إلَّا لفاتحِ البوّابة، حينها تطرأ عليهِ تغيُّراتٍ لم يعهدها من قبل.

تبسمَ لهُ أحمد ثُمَّ سألهُ عن عودةِ السعادة وتغيير العادة، فأخبرهُ فِهر بأنَّ السعادة قد حَلّتْ واحتلّتْ المدينة بقدومِ مِفتاحها، وأمَّا عن تغييرِ العادة فهو ما سيفعلهُ منصور (مِفتاح سِرّ الحياة).

فتحَ منصور سائرَ بوّاباتِ سِرّ الحياة، فأصبحتْ تَرى مَن حولها وتُرَى مِمَن حولها، ثُمَّ سافرَ بضعةِ أيَّامٍ بِصُحبةِ رهطٍ من الرجال، وعادوا بذكورِ الحيوان وإناثٍ أيضًا، كما قاموا بهدمِ سقف المدينة الذي كانَ مانعًا الطير من التحليقِ في جوّها، وهدموا أيضًا الأسوار الضخمة التي كانتْ تُحيط بسرِّ الحياة فتمنع عنها أشَّعة الشَّمس، اللهمَّ إلَّا بعض الكوَّات.

أضحتْ سِرّ الحياة مدينة نموذجية بعد أنْ كانتْ خيالية، وما ذاكَ إلَّا بسببِ أحمد الحَسن الذي حافظَ على مِفتاحها، فجعلوهُ حكيمًا لها خلفًا للحكيمة مَنسيّة.

7_(لا تعتذر فقد جَفَّ البئر)

أرادَ الجدّ أنْ يُعلِّمَ حفيدهُ أمرًا فاصطحبهُ إلى حقلهِ ذات صباح.

لتَكُن صبورًا بُنيّ فالدُّنيا خدّاعةُ المُتعجلين، مقهورة أمامَ الصابرين، ضعيفة مع أقوياءِ اليقين، خاسرة إنْ واجهتْ أنقياء الضمير. الحفيد بتأففٍ: سئمتُ العَيشَ مع النَّاسِ جدّي.

الجدّ بعدما رَبَتَ على كتفه: ولأجلِ هذا جئنا إلى هُنا بُنيّ.

الحفيد بعد أنْ حَكَّ رأسهُ في إشارةٍ منهُ لعدم الفَهم: لم أفَهم جدّي.

جلسَ الجدّ تحتَ ظِلّ شجرة السدر العتيقة، بجوارِ بئرٍ لا يَقِلُّ عنها عتاقةً، وأخذَ يُحدّث حفيده بموقفٍ شَهِدهُ في صِغره.

رأيتُ أبي يتحدّثُ مع أحدِ جيراننا في الحقل المُجاور، يُحدّثهُ بلُطفٍ ولَين، لكنَّ الجار قد عَلَاَ صوتهُ ولم يُقدّرُ حديث أبي، فما كانَ من أبي إلَّا أنْ تركهُ وعادَ ليُكمِلَ ريّ الأرض، لحظاتٍ وذهبَ الرَجُل لحقله، تعجبتُ من فِعلِ أبي فوضّحَ لي ما غابَ عن عقلي الصغير حينها؛ أنَّهُ إذا حَدَثَ بينكَ وبينَ أحدهم سوء فَهمٍ فكُن أنتَ البادئ في التوضيح، فإنْ لم يُنصت لك فاتركهُ وامضي حيثُ كُنت، حينها سيعلم أنَّكَ تجاهلتَ لبقاءِ الودّ بينكما، فسيهدأ ثورانهُ ويعود لأطواره، وسيأتيكَ مُعتذرًا إنْ كانَ هو المُخطئ.

وبالفِعل جاء الجار مُعتذرًا بعدَ عودتهِ لحقلهِ بساعة، رَحّبَ بهِ أبي وتعانقا بعد أنْ صَفَا القلبان، لكنَّ الذي أدهشني هو ردُّ أبي عليهِ حينَ قدّمَ اِعتذاره، سَمِعتُ أبي يقول له: لا تعتذر فقد جَفَّ البئر!

سألتُ أبي التوضيح قبلَ أنْ يذهبَ جارنا، لكنَّهُ اِنتظرَ حتّى تناولا مشروب الشاي المصنوع على نارِ الحطب، وتحدّثا سويًا بأمرِ المحصول الزراعي الذي سيقومانِ بزرعهِ بعدَ حصادِ المحصول الحالي، وبعدها ذَهَبَ جارنا لحقله، بينما أنا أتلهفُ سماع السِرّ وراء هذهِ المَقولة.

أخذني أبي وسارَ بي بعض الخُطوات لأرى أكبر بئرٍ في البلدة، بئرٌ عميق وعتيق، لكنَّهُ جَفَّ بعدَ أنْ نَضبَ مورده، سألني أبي: هل تستطيعُ أنْ تملأهُ بحملكَ الماء من مكانٍ آخر ووضعهِ فيه؟

أجبتُ بالنفي، تبسمَ لي قبلَ أنْ يُردف: حاتم ولدي العزيز، هذا البئرُ هو أعمقُ بئرٍ في البلدةِ كُلّها، نَضبَ موردهُ مُنذُ زمنٍ بسببِ ما فعلهُ بهِ أحدهم، لا تُكثر عليّ سأقُصّ عليكَ ما حَدَثَ لتفهمَ أكثر.. كان يا ما كان، في سالفِ الزمان، شَخصٌ يُدعى إحسان، أحَبَّ الخيرَ لكُلِّ إنسان، فكانَ يُهدي من خيرِ أرضهِ الأهلَ والجيران، لكنَّ جارهُ حُسين صارَ منهُ غضبان، لحقدٍ تعلّمهُ من الشَّيطان، فكَرِهَ الخيرَ لإحسان، وفَكَّرَ في شيءٍ يُقصيهِ عن المكان، فكانَ القتلُ ظُلمًا، ومُوارةِ جسدهِ ببئرِ الماءِ عَمدًا، فحَدَثَ ما لم يتبادر يومًا للأذهان، زادَ الماء ويكأنَّهُ فيضان، لتطفو جُثّة إحسان، ظَلَّ البئر يفيض حتّى أفسدَ الزرع ودَّمّرَ الأطيان،

تنبَّهَ حُسين فعَلِمَ أنَّهُ سبب الخراب والدمار، سَلَّمَ نفسهُ للنيابة العامّة، ليُجازى على فِعلتهِ وقد كان؛ فقد حُكِمَ عليهِ بالإعدام، هدأ الفيضان، وعادَ البئر كما كان.

حسنًا أبي، ولكنْ أينَ سِرّ المَقولة؟

ربتْ أحمد على كتفهِ بحنانٍ وأضاف: بعدها بفترةٍ سادتْ القطيعة بينَ أهلِ البلدة، وتغيّرتْ المُعاملات فيما بينهم، ويكأنَّ شَّيطانًا قد زادَ النارَ حطبًا فكادَ الجميع يتقاتلونَ لأتفهِ الأسباب، حتّى خَطَبَ فيهم أبي الشيخ حاتم _رَحِمَهُ اللَّه_ وكانَ إمامًا للمسجدِ حينها، فدعاهم للتصالُحِ والتصافي فيما بينهم، والعودة للتمّسكِ بكتابِ اللَّهِ وسُنّة رسولهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم_ كما كانوا قبلَ أنْ يُقتَلَ إحسان، ويَسكُن البئر شَّيطان، سَمِعوا لهُ وأطاعوا فتحوّلَ ماءُ البئرِ لنار، تلتهب بالحقد، وتَقوَى بالحسد، وتتضاعف بالفُرقة.

أصابَ البور مُعظم أراضي البلدة، أضحى الجوع ضيفًا لبعض الأهالي، تذكّروا نصيحة شيخهم حاتم _رَحِمَهُ اللَّه_ فتقاسموا اللقمة بينهم، وساعدَ غنيّهم فقيرهم، كما سكنتْ الرحمة قلوبهم، وتعاظمتْ أخلاقهم، وسادَ الحُبّ مُجتمعهم.

ظَلّوا هكذا حتّى مضتْ السنون، وكَبُرَ أبناء البنون، فلم يعرفوا للإنحرافِ سبيل، طبعهم شهمٌ نبيل، أصلهم طيّب أصيل، لا يفتأ

أحدهم يُخطئ حتّى يعتذر، غادرَ شَّيطان البئر البلدة؛ حيثُ لم يَجدْ لنفسهِ مكانًا بينهم، وهُنا جَفَّ البئر، لتعودَ السكينة والطمأنينة للأرض قبلَ الأنفُس.

كانَ أحدهم يزور حقلهُ بجوارِ البئر فوجدهُ قد جَفَّ، عادَ ليُخبرَ الأهالي، فشاهدَ أحدهم يعتذر للآخرِ فصاحَ قائلًا: لا تعتذر فقد جَفَّ البئر، ثُمَّ وضّحَ لهم، وصارتْ مقولة مأثورة، نقولها لمَن أخطأ كي نُذكّرَ بعضنا بماضينا، وكي لا يكونَ عليهِ حرج.. أفهمتَ حاتم؟

أومأتُ لهُ ثُمَّ عانقته، ومن حينها لا تُفارقني هذهِ القصّة، فكُلّما شاهدتُ موقفًا مُشابِهًا ذكرتُ (لا تعتذر فقد جَفَّ البئر) وذَّكّرتُ بِها.

والآن سأسألكَ ذات السؤال: أفهمتَ مَقصِدَ ما قصصتهُ عليكَ أحمد؟

أحمدَ بعدما قَبَّلَ جبينه: أجل جَدّي، وسأروي ما قصصتهُ عليَّ لأصحابي؛ كي تعمّ الفائدة، لا حُرمتُكَ جَدّي.

تبسمَ الجَدّ وأردف: ولا حُرمتُكَ أحمد ابنُ قلبي.

8_(في بيتنا صوفي)

أُمّي ما الذي يفعلهُ أبي؟

لا أدري بُنيّ، هو يقول أنَّهُ يَذكُرُ اللَّه.

ولكنَّهُ يَذكُرُ أسماء أُناس، كما أنَّهُ يَنطِقُ على اللَّهِ هُو، وأشياء عجيبة غريبة لم نتعلّمها في حصّة الدّين بالمدرسة.

الأُمّ: سَلمة دعكَ من التركيزِ معه، فقد نَهيتهُ قبلَ ذلكَ لكنَّهُ لم ينتهي.

سَلمة: حسنًا أُمّي كما تُريدين.

سَمِعَ سَلمة أباهُ يقول لأُمّهِ أنَّهُ صوفي، ولن يتخلّى عن العهدِ القديم، حتّى تُقبَض رَّوحه.

تركتهُ عائشة كما تفعل حينَ يتشاجرانِ بسببِ الطريقة الخاطئة التي يتبعها زكريا في طاعةِ المولى عزَّ وجلّ.

سألها سَلمة بعدَ أنْ هدأتْ عن العهدِ القديم الذي ذِكرهُ والده، لكنَّها أشركتهُ في موضوعٍ آخر، ولم تُجبه.

لم يَركَن سَلمة لعدمِ إجابةِ أُمّه؛ فقد أخذَ يُفكّر كيفَ يصل لمُبتغاهُ بمعرفةِ ماهية الصوفية، التي طردتْ السَكينةَ من بيتهم طردًا؟

وهل هي من الدّينِ أم من خارجه؟

وهل كانَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوفيًّا؟

ظَلَّ يُفكّر كثيرًا حتّى أخبرَ مُعلّم التربية الدينية بما يدور برأسه، إذ أنَّ المُعلّمَ يُحِبُّهُ كثيرًا كما لو كان ابنه.

سَمِعَ المُعلّم من سَلمة، ثُمَّ أخبرهُ أنَّ النبيّ ـصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمـ ما كانَ صوفيًّا، إذ الصوفية طائفة مُبتدَعة كَسائرِ الطوائف التي ظهرتْ في الزمانِ القريب، كما أنَّ دّينَ اللَّهِ هو الإسلام، ولكي أُسّهلها عليك، التمّسُك بكتابِ اللَّهِ وسُنّة رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كما وصّانا الحبيب سيدنا مُحمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فانظر إلى محلّ الوصيّةَ من الأعمال، سَتَجِدْ إجابة ما يدورُ برأسكَ من أسئلة.

عادَ سَلمة إلى البيتِ مَهمومًا، عَلَاَ صوت أبيهِ بما يقولهُ من أورادٍ كَسائرِ الأيَّام، طرقَ سَلمة الباب ودلفَ ليستأذنهُ في قراءةِ الكُتيّب الذي يقرأ منه، أعطاهُ زكريا الكُتيّب وقد تهللتْ أساريره؛ ظنًّا منهُ أنَّ سَلمةَ قد وافقَ على اِتباعِ الصوفية، لكنَّهُ خيّبَ ظَنّهُ حينَ أخبرهُ أنَّ هذا الكُتيّب يحوي بداخلهِ الضلال، ولا عَلاقةَ لِمَا سُطِرَ بهِ من دّينِ اللَّه، كما أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهُ براء، ومَن سارَ على نَهجِ هذا الضلال رَضيَ الشَّيطانُ عنهُ وأرضاه.

صفعهُ زكريا فأدمى وجهه، وأخذَ الكُتيّب منهُ وقَبّلَه، ثُمَّ اِنهالَ عليهِ بالسُبابِ بأقذرِ الألفاظ، حتّى جاءتْ عائشة من المطبخ، فبكتْ لرؤيةِ وجه ابنها النازف، وأخذتهُ لتُطبّبَه.

سألها سَلمة وهي تمسحُ لهُ الدَّم عن سببِ زواجها من أبيه، أجابتهُ بأنَّهُ النصيب والقدر، لم يستطع أنْ يكتم دمعهُ من التدّفُق.

أوقفتْ عائشة نزف وجه سَلمة، ثُمَّ ربتتْ على كتفهِ وأخبرتهُ أنَّ اللَّهَ سيجعل لهم مخرجًا، سألها سَلمة ثانيةً: لماذا وافقَ جَدّي وأخوالي تزويجكِ لأبي، وهو أقل منكِ فِكريًا وثقافيًا وتعليميًا، حتّى في طاعةِ المولى عزَّ وجلّ أنتِ حافظةٌ للقرآنِ العظيم، بينما هو لم يتجاوز حفظه قِصار السور، لماذا أُمّي؟

أجابتهُ بصوتٍ مذبوح بعد ما ذرفتْ عيناها: لضِيقِ حالهم ولدي زوّجوني له.

ربتْ سَلمة على يدها بحنانٍ بعدَ أنْ قَبَّلها وأردف: اللَّهُ قَدّرَ كُلّ هذا وهو كفيلٌ بهِ عائش.

تبسمتْ لهُ وأضافتْ: ونعمَ باللَّهِ العليِّ العظيم، سَلمة سَلوتي من الدُّنيا.

مَرّت الأيَّام وبَلَغَ سَلمة الخامسةَ عشر، وهُنا عادَ يُحدّث زكريا في التوبةِ من الضلالِ الذي سَلَكَ طريقه، لكنَّهُ لم ينتهي بل وأخذَ يُفاخر بزيارةِ

الأضرحة، والتوّسُلِ بالموتى، ويدعو أصحابهُ لفِعلِ ما يفعل، لكنَّ أحدهم قاطعه، وأخبرهُ أنَّ ما يفعلهُ ضلال لا عَلاقةَ لهُ بالدّين.

تحدّثتْ معهُ عائشة لكنَّهُ زجرها وسَبّها، بل وامتنعَ عن الإنفاقِ عليها هي وسَلمة، ممّا اضطر سَلمة للعملِ في أحد الأسواق، كي يكفي حاجة البيت.

لم يستسلم سَلمة لليأسِ من أمرِ أبيه، فقد طلبَ من أحدِ الشيوخ أنْ يُحِدّثهُ بالحقّ، ففعلَ لكنَّ زكريا أخبرهُ أنَّهُ على هذهِ الطريقة مُنذُ العهد القديم، العهد الذي أعطاهُ إيَّاهُ أحد السودانيينَ حينَ كانَ يعمل بإحدى الدول العربية، وأخبرهُ أنَّهُ طائفة تهيمُ عشقًا في رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبهذا يُفضّلَونَ على غيرهم من باقي المُسلمين، كما أنَّ مَن ينتهج نهجهم يُصبحَ من آلِ بيتِ النبيّ ـصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمـ في ليلةٍ وضُحاها.

عادَ الشيخ بُخفيّ حنين ليُخبرَ سَلمة أنَّ زكريا قد غُرِرَ بهِ لجهلهِ من قِبلِ دُعاةِ الضلال، الذينَ أوهموهُ أنَّ الإسلام هو الصوفية، أمَّا ما كانَ دونَ ذلكَ فما هو إلَّا كُفرٌ مَحضّ!

كما أنَّ زكريا قد بَرَهَنَ على ثباتِ موقفه، بأنَّ أحد أشهر المُفتين يدعو إلى الصوفية، بل ويتشدّق بها في برامجهِ المُتلفزة.

ثُمَّ طَلَّقَ زكريا عائشة؛ لعدم اِنصياعها لأمرهِ بإتباعِ الصوفية، وطردها هي وسَلمة من البيت.

اِستأجرَ سَلمة غُرفة تأويهِ وأُمّه، وظَلَّ يُكافح حتّى اشترى لها بيتًا، بعدَ أنْ تخرّجَ من كُلّيةِ الهندسة وعَمِلَ بإحدى شركات المُقاولات، بعدها سافرَ للعملِ بإحدى الدول الآسيوية، وأخذَ أُمّه لتُقيمَ معهُ هو وزوجهِ وأبناءه.

أمَّا عن زكريا فلا زالَ زوّارًا للأضرحة، مُتوّسلًا بالموتى، مُتبّعًا دُعاة الضلال، يُنفقُ من خيرِ أرضهِ في سبيلِ الشَّيطان، ورغم أنَّ بعض الشيوخ والمُثّقفينَ قد علّموهُ بالطريقِ الذي لا ينتهي عن السيرِ فيه، إلَّا أنَّهُ ضربَ بما سَمِعَ منهم عَرض الحائط.

بل وسافرَ السودان ليُقابلَ مَن أعطاهُ العهد القديم، ليُعطيهِ الجديد من العهد.. فكانَ تَعلُّمِ السِّحر.

9_(بعض الحَمقى لا يَموتون)

دَّمَّرَ الغلاء مُخططهُ الذي خطَّطَ لهُ مُنذُ زمن، ليتزوّجَ ويستقرّ نفسيًا، وعاطفيًا ومكانيًا، وأخيرًا أُسريًا، ظَلَّ يَدّخر ما يَقتطِعَهُ من راتبهِ الشهري إلى أنْ بلغَ ما أراد، عَقَدَ النيّةَ على أنْ يذهبَ غدًا إلى إحدى فتياتِ الجيران ليخطبها، وهو على يَقينٍ بأنَّهُ قد أكملَ ثمن الشبكة، ولوازم الزيارة، بالإضافةِ لمصاريفِ يوم الخِطبة.

اِستيقظَ باكرًا على صوتِ المُنَّبه، ربع ساعة اِنقضتْ وكانَ قد صَلَّى وتناولَ إفطاره، ثُمَّ اِرتدى بنطالًا وقميصًا وذهبَ إلى المدرسة؛ فموعدهُ الأوّل في جدولِ الحصص، خاصّةً أنَّ الحسابَ يحتاجُ إلى ذهنٍ يَقِظ.

وصلَ مدرسة الحي التابع له، دلفَ الفصل، ألقى تحيّة الصباح على التلامِذة، ردّوا بأحسنَ منها، تبسمَ لهم، وأخذ يُعنون على السبُّورةِ درس اليوم، بعدَ أنْ أَرَّخَ اليوم هِجريًا وميلاديًا.

أنهى حِصتهُ ذات الخمسة وأربعونَ دقيقة، ثُمَّ نَظَرَ في جدولهِ فلم يَجدْ حِصصًا أُخرى، إذ أنَّ الثلاث مُعلّمين الأُخَر يحتلّونَ باقي حِصص اليوم الدراسي لجدولِ مادّة الحساب.

عادَ إلى البيتِ فَرِحًا رغم مُعاناتهِ من وسائل المواصلات، خاصّةً أنَّهُ شهر أبريل والشَّمس مُشرقة، والجميع يتصبَّبُ عرقًا، والكُلّ يُقاتِلُ من أجلِ الجلوسِ على المِقعدِ الذي تعلوهُ نافذة عربة المواصلات.

تهللتْ أسارير أُمّهِ برؤيةِ البسمة على وجهه، فأخذتْ تُضاحكه: مالي أراكَ مُنصهرًا ونَحنُ في فصلِ الربيعِ ربيع؟

أجابها بسُخرية: قديمًا قالوا: الدُّنيا ربيع، والجوّ بديع، قفّل لي على كُلّ المواضيع.. يبدو أنَّهم لم يُقفّلوا عليها جيّدًا فانفجرتْ طقسًا بالجُملةِ أُمّ ربيع، وضَحِكا.

تابعتْ أُمّ ربيع: الحقُّ معكَ ولدي، ففي اليومِ الواحدِ يتغيّرُ الطقس أكثرَ من مرّة.

ربيع: دعنا من الطقسِ الآنَ أُمّي، ولنُركز على زيارةِ الليلة لبيتِ عمّ ممدوح.

أُمّ ربيع: أسعدَ اللَّهُ قلبكَ ولدي، وجبركَ بمّا يَسُرّ خاطرك، ويُطمئن فؤادك.

أَمَّنَ ربيع على دُعائها، ثُمَّ أخذَ بعض المال وذهبَ ليبتاعَ لوازم الزيارة من كعكٍ وشطائر، بالإضافةِ لباقةٍ من الورد البلدي، وكذا بعض الشيكولاته.

وصلَ ربيع إلى السوق، رأى مُبتغاهُ عندَ أحدِ الباعة، أسرعَ ليشتريه، أخرجَ ثمنه، لكنَّهُ تفاجأ بأنَّ سعرهُ قد تضاعف، حاولَ أنْ يحصلُ على خصمٍ لكنْ لا خصمَ في ظِلِّ هذا الغلاء.

أخذَ يَحسِبُ حِسبتهُ بُناءً على الأسعار الجديدة، فوجدَ أنَّهُ سيضع شراء الشيكولاته جانبًا، ثُمَّ طلبَ من البائعِ أنْ يُجهِّزَ لهُ أغراضه، وهُنا أصابتهُ الدهشةَ حينَ أخبرهُ أنَّ نقودهُ لا تكفي إلَّا لغرضينِ فقط، هُما الكعك والشطائر، وهذا بعد ما زادتْ الأسعار ثانيةً في ذاتِ النصفِ ساعة.

تَقَبّلَ مرارةَ واقعه، ثُمَّ طلبَ من البائعِ أنْ يُجهِّزَ لهُ الكعكَ والشطائر، وعادَ إلى أُمّهِ حزينًا.

قَصَّ عليها ما حَدَثَ فهوّنتْ عليه، وأخذتْ تُطمئنُ قلبهُ كَعادتها، ثُمَّ طلبتْ منهُ أنْ يستعدّ فقد حانَ موعد الزيارة.

أتى الليلُ بسدولهِ وها هو ربيع جالسٌ مع العمّ ممدوح، بينما أُمّ ربيع تتحدّثُ مع زوجهِ سرًّا بخصوصِ إحدى وصفات طهي الطعام.

رَحَّبَ ممدوح بِهما، وامتدحَ ربيع بأخلاقهِ السامقة، وأدبهِ الجَمّ، وسعيهِ في التغيُّرِ نحو الأفضل، وحُسنِ سيرتهِ وأصلهِ الطيّب.

رَدَّ لهُ ربيع المدح بمِثله، ثُمَّ طلبتْ أُمّهُ من ممدوح أنْ يُنادي للعروسِ كي تُسلِّمَ عليها، أومأ لزوجهِ فقامتْ لتُناديها، لحظاتٍ وجاءتْ العروس تحملُ بعض العصائر، فتاةٌ مقبولة شكليًا، مرموقة أخلاقيًا، جميلة نفسيًا وهذا يكفي، كما قالَ ربيع لأُمّهِ بعد العودة للبيت.

مَرَّ يومان وقد اِتصلَ ممدوح بربيعٍ ليُخبرهُ بالموافقة، ثُمَّ دعاهُ لمُشاركتهِ في مشروبِ الشاي بعدَ صلاةِ العصر.

أتى الموعد المُحدَد وكانَ لممدوحِ ما أراد، تناولا الشاي سويًا ثُمَّ أخذَ يُملي عليه شروطه، ومنها جراماتٍ بعينها من الذهب، وأثاثٍ بعينه، بالإضافةِ لمهرٍ مُحدَد، كما أخبرهُ أنَّهُ لا يقتنع بالخِطبة، بل ليَعقِدَ عليها ومن ثَمَّ يستطيعا التعرُّفِ على بعضيهما أكثر.

تعجبَ ربيع من شروطِ ممدوح، وطلبَ منهُ أنْ يُمهلهُ يومينِ للردِّ عليه، سواء بالموافقةِ أو الرفض.

الحمدُ لِلَّهِ أنْ جاءَ الرفضُ منهم، هكذا قالتْ أُمّ ربيع لابنها حينَ أخبرها بمَفادِ الزيارة، لم يَفهم ربيع مقصدها حتّى وضّحتْ لهُ أنَّهم قد رفضوه، والدليل على هذا هو شروطهم الغير معقولة،، مع عِلمهم بالحالِ والمال، لكنَّهم فضّلوا ألَّا يجرحوكَ فكانتْ الشروط هي الطريقة.

فَهِمَ ربيع واعتذرَ لممدوح، وراحَ ليحسِبَ ما ادَّخرهُ من مالٍ طِيلة سنوات، فإذ بهِ يُفاجأ بتعويمِ الجُنيه للمرّة.. لا يَذكُر من كثرةِ التعويماتِ السابقة على مدار أشهُرٍ معدودات.

فَقَدَ الجُنيه قيمته، وفَقَدَ ربيع صبرهُ وحماسه، بل وفَقَدَ الرغبةَ من الأساس، فما كانَ يستند عليهِ أضحى بلا قيمة، ضاعَ بعض عُمرهِ هباءً وهو لا ذنبَ له.

أعطى أُمّهُ ما كانَ يدّخرهُ لتُنفقَ منهُ على الطعامِ البسيط الذي يقتتانهِ ليبقيا على قيدِ الحياة، ثُمَّ أخذَ يُفكّر في حلٍّ يُكسبهُ المال، فالراتب الذي يتقاضاهُ لا يكفي لمعيشةِ فردٍ واحد، فكيفَ بهِ هو وأُمّه؟

حتّى وإنْ زادتْ الأجور فإنَّ الأسعارَ قد فاقتها في الزيادة، والغلاء يزداد يوميًا ولا يَقِلّ، ولا يدري المواطن البسيط من أينَ سيدفع فواتير الغاز والكهرُباء والماء؟

تذكّرَ ربيع أنَّهُ قد قامَ بعملِ تأمينٍ على حياتهِ مُنذُ سنوات، لكنَّ شيئًا لم يَحدُث، طالما لم يَمُت أو يُصاب بحادثة مثلًا.

فَكَّرَ كيف يستفيد من التأمين، فعَلِمَ أنَّ بإمكانهِ الحصول على مَبلغٍ من المال من شركةِ التأمين حالَ إصابتهِ بحادثة.

قَرّرَ ربيع أنْ يصنعَ الحادثة لنفسهِ طالما هي لم تُصبهُ من تلقاءِ نفسها، اِتفقَ مع أحدِ السائقينَ على أنْ يصطدمَ بهِ أثناء سيره، لكنْ بحذرٍ كي لا يُفقدهُ حياته، يكفيهِ كسرُ ساقه، حتّى يحصُل على مَبلغٍ من المال، من شأنهِ أنْ يُغيّر مستوى معيشتهِ نحو الأفضل.

حانَ موعد التنفيذ، دقائقَ ونُقِلَ ربيع إلى المُستشفى، وأخبرَ تقرير الطبيب الذي تابعَ حالته، أنَّهُ قد تَمَّ كسر ساقه، ومُدّة العلاج التي سيقضيها وغيره، فَرِحَ ربيع رغم ألمه، وهاتفَ شركة التأمين، جاء

مندوب منها ليُعاينَ الحالة، ثُمَّ تَقرَرَ صرف المبلغ المُتفَق عليهِ في مِثلِ هذهِ الحالات.

فَرِحَ ربيع أيُّما فَرحٍ ولكنْ دائمًا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السُفن؛ فقد تَمّ تعويم الجُنيه في نفسِ اللحظة التي اِستلمَ فيها ربيع المال، ليُصبِحَ بلا قيمة، بالكادِ يكفيهِ لتناولِ بعض الدجاج والفاكهة، كي يستردّ عافيته.

مَضى وقتٌ على حادثةِ ربيع، قطعَ عهدًا على نفسهِ بألَّا يدّخِرَ جُنيهًا واحدًا بعدَ الآن، حتّى يتعافى الجُنيه وتعود لهُ قيمته، فظلَّ هكذا عُمرًا ثُمَّ سافرَ بأُمّهِ بعدَ أنْ عَمِلَ وأقامَ بإحدى دول الخليج.

مريم توركان